الوعي باستراتيجيات الكولونيالية وتمثيلات الهوية: الثورة الجزائرية من المنظور العربي

Awareness Of Colonial Strategies And Representations Of Identity: The Algerian Revolution From The Arab Point Of View

د. أحمد زعزاع(*)

جامعة علي لونيسي- البليدة2، الجزائر. ahmedzazaa@gmail.com

تاريخ الارسال: 2021/06/22 **تاريخ القبول :**2021/06/24**تاريخ النشر.**2021/12/20

ملخص:

اهتم العالم العربي كثيرا بثورة التحرير الجزائرية، واعتبرها الأدباء والمفكرون والسياسيون العرب قضية أساسية بالنسبة لهم، وقد وجد هذا التفاعل مع الثورة صدى له في إنتاجات الأدباء كما في كتابات السياسيين. وسنعمد في مقالنا إلى استعراض أسماء بعض الشخصيات التي جعلت أقلامها ناطقة باسم الثورة الجزائرية، للوقوف على عمق التفاعل الحاصل مع القضية لا باعتبارها قضية ذات صلة بالبعد العربي فحسب، بل باعتبارها نموذجا إنسانيا تحرريا وثوريا بامتياز شكّل صورة من صور المقاومة الثقافية، كما سنحاول الوقوف على بعض جوانب حضور الثورة الجزائرية عند الشعراء العرب، كونهم جسدوا بإنتاجهم الأدبي صورة عميقة من اشتغال القضية الجزائرية فيهم.

الكلمات المفتاحية: فكر عربي، شعر عربي، الثورة الجزائرية، صورة، الكولونيالية.

Abstract:

The Arab world was very interested in the Algerian liberation revolution, and Arab writers, intellectuals and politicians regarded it as an essential issue for them, and this interaction with the revolution resonated in the productions of writers as well as in the writings of politicians. In our article, we will present the ideas of some Arab writers about the Algerian revolution, and we will try to find out the interest of Arab poets in the Algerian revolution and the images of resistance.

Keywords: Algerian liberation revolution; Arab Thought; Arab Poetry; image; colonialism.

1.مقدمة:

تميّز القرن الماضي بكونه قرن الفعل التحرّري بامتياز، وتجلّى ذلك في الثورات التي ظهرت في مناطق العالم لمقارعة أشكال الاستعمار المختلفة. وقد شكّلت ثورة التحرير الوطنية أحد أبرز معالم مجابهة المستعمِر، بما صنعه الشعب الجزائري من صور التفاف حول قضية آمن بها ودافع عنها بكل الوسائل التي أمكنته، الأمر الذي جعل العالم يتفاعل مع ثورة الجزائر على نطاق واسع، ودفع البعض لتبنّي القضية نفسها كقضية إنسانية تشغله مثلما تهمّ أي جزائري حرّ.

(*)أحمد زعزاع: ahmedzazaa@gmail.com

وقد تبنّى العرب– لاعتبارات عدة– القضية الجزائرية، لامتدادها فيهم، من خلال مساهمات في هذا الباب جسّدته مواقفهم الداعمة للثورة الجزائرية بالمال وبالسلاح وبأشكال الدعم المتنوعة، على اعتبار أن "حرب التحرير شكّلت حافزا قويا معبّرا عن موقف دولي فعال مساند لبقية حركات التحرير في الوطن العربي، وفي المناطق الأخرى من العالم"[1]. ومثّل الإعلام بطرائقه المتعددة الوسيلة الأمثل لنقل تلك الانشغالات، حيث كانت إذاعة "صوت العرب" من القاهرة حاملة لشعار الثورة الجزائرية وتروّج لها، مثلما كانت الجرائد والمجلات بابا آخر لدعم القضية كمجلة "تحرير المغرب العربي"[2].

2.صورة الثورة الجزائرية في مدونة الفكر العربي

1.2. الثورة والوعي باستراتيجيات الكولونيالية:

جسّد الخطاب السياسي والفكري أحد أوجه التفاعل مع القضية الجزائرية ظهر في المقالات التي كان يكتبها بعض المفكرين والسياسيين، وفق اتجاهات مختلفة ترتبط بالمنطلقات الفكرية التي ينهل منها أصحابها. فمن وجهة نظر اليسار العراقي التقدمي، نجد الوزير والكاتب ابراهيم كبه في مؤلّفه المهم "أضواء على القضية الجزائرية" يصوغ، بما جاء فيه من عرض للقضية، موقفا عاما تبناه المثقفون العرب والعراقيون خاصة من ثورة نوفمبر، معتبرا أن مؤلفه بيان مساندة ودعم معنوي للثورة الجزائرية عندما يقول: "وإذا كنا نحن المثقفين العراقيين عاجزين في ظروفنا الحاضرة عن تحويل مشاعرنا الوطنية الملتهبة إلى خدمات مادية ملتهبة يستفيد منها أولئك الأبطال المغاوير الذين يقاومون كل قوى الاستعمار العالمي المتآمر على وطننا العربي في المشرق والمغرب، فلا أقل أن نقوم بأضعف الإيمان، إلقاء شيء من النور على طبيعة الثورة الجزائرية الكبرى المحتدمة الآن، والكشف عن جذورها الاجتماعية والاقتصادية وبيان القوى المتصارعة في العوالم المحيطة بها، وتثبيت معانيها ودروسها الكبرى في معركة التحرر العالمية التي تخوضها القوى الوطنية في العالم ضد قوى الدمار والظلام"[3].

ويحاول الكاتب من خلال العرض الذي قدّمه التدليل على العلاقة الوثيقة بين الثورة الجزائرية وبين المدّ التحرري الرافض للسيطرة الامبريالية، ويعتبر الاستعمار الفرنسي للجزائر امتدادا لإرادة السيطرة على الشعوب المستضعفة، بما يجعل ثورة التحرير صورة من صور مقاومة التبعية والهيمنة الكولونيالية المقترنة بأهداف توسعية، وفي الوقت نفسه يشير إلى عدم انفصال القضية الجزائرية عن قضايا التحرر العالمية فنجده يقول: "إن جوهر المشكلة الجزائرية لا يختلف من حيث الأساس والنوعية عن أي مشكلة من مشاكل التحرر الوطني ضد النظام الكولونيالي"[4]، انطلاقا من الوعي بطبيعة الصراع الذي يتخذ مناحي مختلفة تبعا لطبيعة الكولونيالية ذاتها: "لعل من أروع خصائص كفاح الجزائر في الوقت الحاضر هو أنه مبني على إدراك عميق واع للحقيقة الجوهرية، وهي الحرب من أجل التحرر من النظام الكولونيالي المتمم اليوم لنظام الاستعمار الحديث. إنها كولونيالية مترابطة الأجزاء، متفاعلة الوجوه لا يمكن بالمرة فصل جوانبها الاقتصادية والاجتماعية عن طبيعتها السياسية.."[5]. فهو يعتبر أن الفعل الاستعماري الفرنسي هو امتداد لمقولات الكولونيالية في أبعادها المختلفة لا باعتبارها حالة استحواذ على

الأرض فحسب بل حالة تحويل وتدمير وإبادة على المستويات المختلفة. والوعي بكل ذلك هو الذي خلق ميزة أخرى في الثورة الجزائرية، حسب ابراهيم كبه، التي شكّلت في بنيتها نوعا مختلفا من التفاعل الحاصل بين طبقات الشعب، لتكيّفها مع الظروف الاستعمارية الجديدة، في شكل "ثورة عامة شاملة تعم كل طبقات الشعب وتعبّر عن مطالب ومطامع جميع أفراد الأمة، وتقودها جبهة وطنية تحررية تمثّل كل الأحزاب الوطنية في البلاد"[6]، فبذلك تتوافر وفق تحليل ابراهيم كبه للثورة الجزائرية في عامها الثاني نواة تماسكها، فهي تحمل في بنيتها العميقة حتمية النجاح.

2.2. في فكرة الثورة والوعي الذاتي:

من النقطة السابقة المرتبطة بوعي الشعب بحقيقة ثورته يحاول المفكر القومي الفلسطيني ناجي علوش الربط بين الثورة الجزائرية في عامها الرابع وبين منطق التغيير والانقلاب الشامل، وجعل الحراك التحرري المرتبط بها نتيجة حتمية لتوافر الأرضية الشعبية الحاضنة، إذ إن ثورة الجزائر تعدّت، حسبه، النخبوية الضيقة لتصنع لها امتدادات في الطبقات المختلفة للشعب، فتتشكّل كـ"ثورة شعبية تعي حقيقة العمل النضالي، وتؤمن بالإنسان، إنسان الرسالة"[7]، ويتجلى ذلك وفق رؤيته من خلال التفاف الشعب بجميع أطيافه حول جبهة التحرير واعتبارها الممثل الوحيد لقضيته، وهو الأمر الذي يعتبر في حد ذاته سببا في تشكيل النواة الأساسية للتماسك، ومن ثمّ نجاح كل فعل مقاوم، حيث يخرج بها من طور الفردية إلى العمل الجماعي، ومن التغيير على مستوى الفرد إلى التغيير الشامل على مستوى الجماعة، ونجده يعبّر عن ذلك بقوله: "منطق الثورة العربية في الجزائر إذن هو الانقلاب الشامل الذي يعني استعداد الفرد نفسه للتغير، لأن يعيش حياة التنظيم الحزبي في مرحلة الإعداد ثم لأن يحمل السلاح ليبدأ معركته الكبرى.. معركة الإنسان الجديد"[8].

ويخلص ناجي علوش في تنظيره لفكرة الثورة القومية إلى أن الثورة الجزائرية هي ثورة ناجحة نتيجة المعطيات المتوافرة، غير أنه لا يريد لذلك النجاح أن يتوقف عند الحدود الضيقة التي رسمها المستعمِر، لأن ذلك سيحدّ من فاعليتها، فتصبح نتيجة ذلك ثورة قطر واحد ضد الاستعمار الخاص، في حين أن المفكر القومي يؤمن بفكرة الوحدة وبالتالي فلابد من أن تستمر الثورة الجزائرية متجاوزة القطرية للتحول إلى ثورة ضد التقسيم والتجزيء الاستعماري، وصولا إلى وحدة ما سماه العمل الثوري، حيث يقول: "إن ثورة الجزائر مثلا تتحول لثورة قطرية عندما تتوقف فاعليتها على الحدود التي خططها المستعمرون.. إن زحف الثورة يجب أن يستمر محققا وحدة العمل الثوري، ووحدة الجماهير التي جعل الاستعمار والإقطاع منها دولا وجنسيات.."[9]، فالكاتب يريد ثورة مستمرة في الزمان والمكان تثبت فعاليتها في تحرير الإنسان بالموازاة مع تحرير الأرض، للوصول إلى وحدة عربية.

وبالحديث عن الوحدة ومفهوم القومية العربية يطالعنا من بعيد اسم بارز ارتبط كثيرا بالثورة الجزائرية واقترن تناوله لها بخلفيته الفكرية المتصلة بالتيار العروبي، باعتباره أحد أقطاب الفكر التحرري الثوري في العالم العربي، ألا وهو ميشيل عفلق، ومقالاته الكثيرة المساندة للقضية الجزائرية ولثورتها توضح بشكل كبير وعيه بالجوانب المختلفة

في الثورة الجزائرية، ففي مقاله "دور معركة الجزائر في نضالنا" يعمد إلى تحليل موضوعي لحالة الاستعمار الفرنسي للجزائر، معتبرا أن باريس أصبحت في ورطة حقيقية نتيجة الثورة التي لم تكن تتوقع امتدادها بتلك الطريقة مباشرة بعد انتهاء مشكلة الهند الصينية، وتتأزم القضية، حسبه، أكثر نتيجة الرؤية الفرنسية التي تعتبر الجزائر خاصة والمغرب العربي عموما امتدادا حيويا لأراضيها، لذا فلن يكون من السهل التفريط في الجزائر على اعتبار أن ذلك يهدد وضعها الاقتصادي والعسكري[10].

وفي سياق تحليله للالتفاف الشعبي الجارف حول الثورة الجزائرية يعتبر عفلق أن ذلك مؤداه الوعي الذي تشكل نتيجة الحالة الاستعمارية وممارسات المستعمِر، والتي تخلّق عنها شعور عام بوحدة المعاناة، ويبسط ذلك من خلال مقارنة بين أشكال الاستعمار المختلفة للأقطار العربية والسياسة المنتهجة في كل دولة، حيث يتحدث في خطاب له ألقاه في النادي الثقافي العربي في بيروت في 1956 بعنوان "الوحدة العربية والاشتراكية" عن طبيعة القيادة في بعض الأقطار العربية وكونها غير شعبية جعل النضال في تلك البلدان يتوقف، حسبه، عند حدود وسط من المساومة والمفاوضات فـ"القيادة لم تكن شعبية، فالشعب يناضل ويدفع الثمن والقيادة هي طبقة إقطاعية بورجوازية، وهذه الطبقة عين لها على العدو وعين على تجارتها وممتلكاتها لذلك لا يمكن أن تصل في النضال إلى آخره، بل يأتي يوم تصبح قيادة النضال هذه خائفة من الشعب أكثر مما هي خائفة من الاستعمار"[11]، في حين أن الوضع كان مختلفا في الجزائر وفق تحليله، إذ إن "الاستعمار نفسه حلّ المشكلة لأنه يعمل منذ قرن وربع على إفناء الشعب العربي في الجزائر وعلى حرمانه من أبسط عوامل البقاء لتحويل الأراضي العربية إلى أرض فرنسية يستغلها الفرنسيون ويتكاثرون فيها.. وقد أوصله الاستعمار إلى حالة يستوي فيها الموت والحياة. هذه هي الحالة الثورية الممتازة"[12]، فالسياسة الاستعمارية التي انتهجتها في فرنسا كانت هي ذاتها الباعث على وحدة رد الفعل الشعبي اتجاهها، وكان هي السبب الرئيسي في خلق الحالة الثورية في الجزائر، حسب ما يذهب إليه عفلق.

3.صورة الثورة وخطاب المقاومة الثقافية في الشعر العربي

1.3الخطاب عن الثورة/ المقاومة وتجسيد الإنساني:

لطالما واكب الفن الثورة، مثلما كانت الثورة وقودا للفن بأنواعه المختلفة، وقد جسّد الأدب الخطاب التفاعلي الأكثر بروزا مع القضايا الثورية في العالم. ولا يكاد ينفصل الخطاب الشعري المواكب للثورة الجزائرية المنشأ من قبل الشعراء العرب من تجليات الخطاب المضاد للهيمنة والمكتنه بإرادات الرفض: إرادة رفض الحالة التاريخية الاستعمارية، إذ جاء معبّرا عن روح المقاومة لدى الشعب الجزائري، التي جسّدتها ثورة التحرير باعتبارها انتفاضة ضد الظلم والقهر في أشكاله المتعددة.

فهذا السيّاب يستنطق وهران في شخص سيزيف حامل الصخرة الأبدية، رمز المعاناة والقهر الدائمين، لتظهر ثورة الجزائر ثورة تحررية إنسانية قبل كل شيء، ضد إرادة السيطرة من الآخر الذي يفرض منطق القوة

للتسيد وفق ثنائية السيد والتابع، التي يرفضها الشعب الجزائري مثلما يرفضها كل حر في العالم معلنا الثورة وكسر القيود، حيث يقول الشاعر في قصيدته "رسالة من مقبرة":

هذا مخاض الأرض لا تيأسي

بشراك يا أجداث حان النشور

بشراك في وهران أصداء صور

سيزيف ألقى عنه عبء الدهور

واستقبل الشمس على الأطلس[13]

فسيزيف هنا يلقي عنه عبء الزمان، وهو الأمر نفسه الذي قام به الشعب الجزائري عندما أعلن ثورته، ورفضه لحالة الهوان التي وضعه فيها المستعمر الفرنسي، مستقبلا ضياء عالم جديد يحلم فيه بشمس الحرية ولا شيء غيرها. وهو ما يحاول أن يؤكده السياب عندما يجعل قضية الجزائر قضية العالم الحر في مواجهة العبودية عندما يقول:

نحن بنو الفقر الذي يزعمون

في كل عصر أنهم وارثوه

قابيل فينا ما تهاوى أخوه

من ضربة الحقد التي يضربون

يوم ابتدأنا كان عبء السماء

ملقى على أطلس

يزحمه بالمنكب الأملس

ثم ارتقى إيفل تم البناء

فانحط ذاك العبء حينا عليه

ثم انطلقنا نحن من جانبيه

حتى حملنا عبئها كل ما فيها من الأبراج والأنجم[14]

ويحضر الأوراس في الشعر كثيرا، ليصنع له رمزية خاصة اقترنت في المخيلة العربية ببداية الطريق نحو التحرر، ويصبح ذا ارتباط عضوي دائم بالثورة حيثما كانت وبرفض أشكال الاستعباد، وهذا ما نجده مثلا في قصيدة محمود درويش عندما يمتزج المكان بالهوية بالثورة ومواجهة القهر:

بيتي على الأوراس كان مباحا

يستصرخ الدنيا مساء صباحا

..فالوحش يقتل ثائرا

والأرض تنبت ألف ثائر

أوراس يا "أولمبنا" العربي

يا رب المآثر

إنا صنعنا الأنبياء على سفوحك

والمصائر

أوراس يا خبزي وديني

يا عبادة كل ثائر[15]

فموقف درويش هنا متجاوز للموقف العربي، وإن تبدى ذلك قليلا، إلى أن يجعل شعره خطابا متراكبا مع كل خطاب يروم الثورة، خطاب كل حر في العالم، خطاب ينسجم مع كل حركة مقاومة، إذ ما يموت ثائر أو مقاوم إلا ليولد من دمه آلاف الرافضين لاستمرار وضعيات الاستعباد، وهو ما يصدق بالدرجة نفسها على الحالة الجزائرية آنذاك وعلى الحالة الفلسطينية وهي القضية الجوهرية عند درويش. وذلك ما يؤكد عليه في قصيدته "نشيد الرجال":

فكل تمرد في الأرض

يزلزلنا

وكل جميلة في الأرض

تقبلنا

وكل حديقة في الأرض

نأكل حبة منها

وكل قصيدة في الأرض إذا رقصت نخاصرها

وكل يتيمة في الأرض إذا نادت نناصرها[16]

فجميلة الجزائر تصبح عنوانا لكل ثائر، وتصبح صورة نموذجية لكل قضية عادلة في العالم، وتتحول معها كل قضية تحررية إلى قضية إنسانية تتعلق بالضمير الإنساني ككل. وهو ما نجده عند نزار قباني عندما تتحول جميلة إلى أيقونة انتصار السجين على جلاده، إذ يقول:

الاسم جميلة بوحيرد

تاريخ قرون بلادي

يحفظه بعدي أولادي

تاريخ امرأة من وطني

جلدت مقصلة الجلاد

امرأة دوّخت الشمس

جرحت أبعاد الأبعاد

ثائرة من جبل الأطلس

يذكرها الليلك والنرجس

يذكرها زهر الكباد[17]

2.3الخطاب عن الذات المقاومة/ الخطاب عن الهوية

لا يكاد يخفى الزخم الفني الذي واكب الثورة الجزائرية، ومن هذا المنطلق صنعت الأحداث الكبرى فيها حضورا في الساحة الإبداعية، ويظهر ذلك في مجموع القصائد التي أنشأها الشعراء العرب تمجيدا لها واحتفاء بأبطالها نساء ورجالا، من منطلق الانتماء المشترك: انتماء الهوية وانتماء القضية. وهو ما انعكس في الأبعاد التي تناول بها هؤلاء الشعراء ثورة نوفمبر، إذ قارب الشعر العربي القضية الجزائرية كقضية هوية، في مواجهة محاولات المسخ الاستعماري، باعتبار الجزائر وحركية الثورة فيها منضوية في إطار مشروع محاولة الدفاع عن الامتداد الهوياتي العربي الإسلامي للشعب الجزائري.

فنجد الشاعر السوري سليمان العيسى، الذي يبرز اسمه عاليا عند الحديث عن مدونة الشعر العربي المقترن بالجزائر، يتوحّد عنده المصير مع الثوار في الجزائر، في أكثر من قصيدة، ليتجلى ملمح مهم من ملامح تفاعل الأدباء العرب مع الثورة الجزائرية، التي صنعت الحافز لمثل هذا الخطاب:

ما عساني أقول والشاعرُ الرشاشُ والمدفع الخطيبُ الهادر

والضحايا الممزّقون وشعبٌ صامدٌ كإلهه يَلوي المقادرْ

فوق شعري وفوق مُعجِزة الألحان هذا الذي تخطُّ الجزائر[18]

فيتحوّل الخطاب الشعري هنا هو إلى ردّ بالكتابة على حالة استعمارية تريد إخضاع الأنا وفق رؤية دونية، انطلاقا من كون "العنف الاستعماري ينطوي على مظهر معرفي أي أنه هجوم على الأنظمة الثقافية والفكرية والقيمية لدى الشعوب المستعمرة"[19]. فمن هذا المنطلق يعدّ الشعر العربي المساند للثورة الجزائرية خطابا مقاوما يتبنّى استراتيجيات الخطاب المضاد الذي يعتبر نوعا من المقاومة الرمزية للآخر ولمحاولات الاستلاب والتزييف التاريخي التي يمارسها، وذلك باستيضاح حدود تشكيل الهوية الذاتية المعتمدة أساسا على البعدين العربي والإسلامي، ويعبّر عن ذلك رمزيا سليمان العيسى عندما يقول:

تتحداهُمُ صخورك يا أوراس أن يوقفوا زئيرَ القضاءِ

موجةٌ تحملُ العروبة فيها من جديدٍ مقَدّساتِ السماءِ[20]

فهو يتحدّث عن البعد المزدوج في ثورة التحرير، التي تحمل صبغة القومية والدين عندما تتزاوج أبعاد الهوية معا، وهو أمر كثيرا ما ركّز عليه الشعراء بتجلية البعد العربي في الثورة بالموازاة مع الوقوف على الدافع الديني في الفعل الثوري المقترن بفكرة الجهاد والانتماء الهوياتي، وهذا ما أشار إليه الشاعر نفسه في مرثيته لزيغود يوسف عندما يقول:

يا سفح يوسف يا خضيب كمينه
يا روعة الأجداد في الأحفاد
يا إرث موسى في النسور وعقبة
والبحر حولك زورق ابن زياد
يا شمخة التاريخ في أوراسنا
يا نبع ملحمة بثغر الحادي
أتموت تاريخ الرجولة فرية
كبرى إذن ووضاءة الأمجاد
أتموت كل حنية بجزائري
ميلاد شعب رائع ميلادي[21]

الصورة التي يشكّلها الشاعر هي صورة هوياتية تستحضر البعد الديني المقترن بمفهوم الجهاد والاستشهاد بشكل يتجلى في استدعاء شخوص من التاريخ الإسلامي في بلاد المغرب، بما تحمله من رمزية انتماء وتواصل تاريخي وحضاري، ولعل البارز هنا هو استحضار اسم طارق بن زياد، القائد البربري المسلم الذي فتح بجنوده الأندلس، ليدلّل على بعد هوياتي أساسي للشعب الجزائري بتطرّق الشاعر لماض تتمازج فيه أبعاد الهوية المتعددة مازال مشتغلا في الأجيال المتلاحقة.

فالقصيدة عند سليمان العيسى تتجاوز طغيان ذاتية الشاعر عليها فتصطبغ بروح شعب مقاوم، لتتراكب في الخطاب مقصديات متعددة تسعى لاستيضاح قدرة الإنسان المقاوم على قهر الحالة الاستعمارية ومواجهتها من جهة، ومن جهة أخرى التدليل على المشاركة المعنوية الداعمة لصمود شعب جزائري يُنظر إليه كامتداد لهوية مشتركة، فبالرغم من البعد الجغرافي إلا أن اشتغال القضية ممتد نفسيا وشعوريا:

لك في الشرق جانحٌ عـــــربيٌ يتمطّى عن معجزاتِ البشـــــائر
لكِ هذا الجـــــدار ينسحـــقُ الغدرُ على سفحه وتُمْلَى المصائر
رفعته الأكبادُ في مصرَ والشام مضيـــئاً كطلعـــــة الله ظافـــرْ
وحدةٌ مثلما أشرأبّ بقلـــــب الموج طود نائي الشماريخ قاهـر[22]

وكما اقترنت القصيدة العربية بالثورة كفكرة كبرى، وبأحداثها كتجلٍّ، فقد ارتبطت كذلك بشخوصها، تصوّر بنوع من التعاطي البطولي صانعي الحدث في القضية الجزائرية، مثلما كان مع جميلة بوحيرد أو زيغود يوسف. ويصادفنا ذلك في الغالب خادما لبعد من أبعاد الهوية البارزة بشكل أو بآخر في الخطاب الشعري. فهذا الشاعر العراقي بدر شاكر السيّاب يعتبر أن قضية جميلة بوحيرد ليست قضية الجزائر فقط، بل هي قضية ميلاد وطن من رحم معاناة، باعتبار أن معاناة هذه المجاهدة ليست سوى صورة رمزية لمعاناة الجزائر عموما، والتي هي امتداد لكفاح الأمة العربية ككل، عندما يقترن "الأنا " بـ"النحن" في قوله:

ونحن أم أنت التي تولدين

أسخى من الميلاد ما تبذلين

والموت أقسى منه من كل ما عاناه أجيال من الهالكين[23]

فـ"النحن" الجمعية هي انبعاث من "الأنا" البوحيردية، أو بصورة أخرى هي انبعاث من "الأنا" المقاومة الرافضة للانكسار أو الخضوع، هي "أنا" هوياتية تعيد خلق نفسها من رمادها في كل مرة متجددة لا تتبدد، في تناسخ روحي يجعل "الأنا" تتمازج مع "النحن" لتحدد الهوية النهائية الأزلية.

4. خاتمة:

لقد شكّلت الثورة الجزائرية معلما بارزا من معالم التحرر في العالم، وصنعت لها اسما بين الأحداث الكبرى في تاريخ القرن العشرين، ولعل الطريقة التي اندلعت بها والأحداث التي واكبتها، كلها صنعت تميزا في تفاعل الرأي العام الدولي والعربي مع القضية الجزائرية، التي أصبحت في لحظة تاريخية قضية ثورة تحررية شاملة، وأضحت محل تعبئة عامة لكتاب وأدباء وسياسيين ومفكرين عرب وغربيين من مشارب متعددة جمعتهم الثورة الجزائرية حول فكرة المقاومة. فلا غرو والأمر كذلك أن يمتد ذلك التفاعل عربيا وعلى الأصعدة كلها، وظهر بعض ذلك بشكل جلي في الكتابات المتنوعة التي عرضنا لبعضها في ورقتنا هذه؛ ما اتصل بالجانب السياسي والفكري أو ما اقترن بالجانب الفني الأدبي، حيث كانت الأقلام العربية ناطقة باسم القضية الجزائرية باعتبارها قضيتها نفسها بالقدر ذاته الذي كانت قضية كل جزائري.

5. قائمة المراجع:

- اسماعيل دبش، السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية، دار هومة، الجزائر، ط1، 2003.
- آنيا لومبا، في نظرية الاستعمار، تر: محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار، سوريا، ط1، 2007.
- بدر شاكر السياب، الأعمال الكاملة، دار العودة، بيروت، ط1، المجلد 1، 2005.
- جليل كمال الدين،انصر أخاك: مقالات عربية عن ثورة الجزائر، دارالأبحاث، الجزائر، ط1، 2012.
- سليمان العيسى، الأعمال الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط1، المجلد 1، 1995.

- محمود درويش، الأعمال الكاملة، دار العودة، بيروت، لبنان، ط 14، المجلد 1، 1994.
- مصطفى نويصر، "ميشيل عفلق والثورة الجزائرية"، دار الطريق، الجزائر، ط1، 1993.
- ناجي علوش، في سبيل الحركة العربية الثورية الشاملة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1963.
- نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت، (دط/دت).

6. هوامش:

[1]- اسماعيل دبش، السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية، دار هومة، الجزائر، ط1، 2003، ص60.

[2]- نفسه،ص66.

[3]- إبراهيم كبه، أضواء على القضية الجزائرية، ضمن مؤلف جليل كمال الدين، انصر أخاك: مقالات عربية عن ثورة الجزائر، دارالأبحاث، الجزائر، ط1، 2012، ص57/56.

[4]- المرجع نفسه، ص56.

[5]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[6]- المرجع نفسه، ص57.

[7]- ناجي علوش، ثورتنا العربية في الجزائر، ضمن مؤلف جليل كمال الدين، انصر أخاك: مقالات عربية عن ثورة الجزائر مرجع سابق، ص114.

[8]- المرجع نفسه، ص 115.

[9]- ناجي علوش، في سبيل الحركة العربية الثورية الشاملة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1963، ص34.

[10]- ميشيل عفلق، "دور معركة الجزائر في نضالنا"، ضمن كتاب "ميشيل عفلق والثورة الجزائرية"، نصوص جمعها وقدّم لها مصطفى نويصر، دار الطريق، الجزائر، ط1، 1993، ص30.

[11]- ميشيل عفلق، "الوحدة العربية والاشتراكية"، ضمن "ميشيل عفلق والثورة الجزائرية"، المرجع السابق،ص25.

[12]- نفسه، الصفحة نفسها.

[13]-بدر شاكر السياب، الأعمال الكاملة، دار العودة، بيروت، ط1، 2005، المجلد1، ص382.

[14]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[15]- محمود درويش، الأعمال الكاملة، دار العودة، بيروت، لبنان، ط 14، 1994، المجلد 1، ص 227.

[16]- المرجع نفسه، ص 150 .

[17]- نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت، (دط/دت)، ص 449.

[18]- سليمان العيسى، الأعمال الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط1، 1995، المجلد 1، ص 439.

[19]- آنيا لومبا: في نظرية الاستعمار، تر: محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار، سوريا، ط1، 2007، ص64.

[20]- سليمان العيسى، الأعمال الكاملة، مرجع سابق، المجلد 1، ص 444.

[21]- المرجع نفسه، المجلد 2، ص 117.

[22]- المرجع نفسه، المجلد 1، ص 440.

[23]- بدر شاكر السياب، الأعمال الكاملة، مرجع سابق، المجلد 1، ص380.